والتعويض هنا جاء موافقاً لطبيعة الشاعر المكفوف وسلوكه كما رأينا عند غيره من الشعراء، وفي باقي الحواس. ويحتسب لابن جابر مثل هذا التعويض وغيره. وهو لا يعدّ هروباً نفسياً من العاهة بقدر ما هو استناد إلى باقي الحواس ووظائفها، وما خلقت لأجله فمن المؤكد أن باقي الحواس تزيد حدة وقوة عند الكفيف – الشاعر وغيره – لتعوّض حاسة البصر وأهميتها ووظيفتها الكبيرة.

المبحث الثاني

العاهة والمرأة

الحبّ وسمات العشق عند الشاعر الكفيف

إن التراث الشعري يختزن كثير من أوصاف المرأة، سواءٌ أكانت أوصافاً حقيقيةً واضحة أم ضبابية عاتمة تحتاج إلى قراءة متكررة حتى تبرز، ومن تلك الأوصاف أوصاف حالة الحب والعشق التي صورها الشاعر المكفوف في أشعاره تجاه محبوبته أو معشوقته أو زوجته.

هذه الأوصاف كلها عاناها الشاعر المكفوف الأندلسي كمعاناته عاهته التي ترافقه في أوقاته كلها.

أما المرأة – كما صورها الشعر العربي – فهي رحمة تنال الجميع، وهي تقاوم الموت بالولادة تواجه العطش بالرضاعة والأثرة بالإيثار، فهي حبيبة تمسح قلق الفارس بالطمأنينة ومقت الدماء النغارة بالمودة، وهي أيضاً خليلة وأخت وابنة[1]. فنرى المرأة يتغزل بها امرؤ القيس، ويحبها جميل، ويعشقها جرير، ويصفها المتنبي.

هذه الأوصاف والعادات كانت تلازم المرأة منذ القدم إلى يومنا هذا، ولكن التشبيه قد اختلف، والوصف قد تغير، والشغف قد زاد مع الشاعر الأعمى الأندلسي، الذي صار يشبه محاسن المرأة بمفاتن الطبيعة، كأن يجعل قدها كالغصن، وشعرها

(1) ينظر: شعر العميان: 126 – 127.

كالليل... وهذا ما اعتاده الشعراء، سواء أكانوا عرباً أم أعاجم... غير أن شعراء الأندلس كانوا بحكم بيئتهم أكثر تجاوباً من سائر شعراء المشرق مع مشاهد الطبيعة التي حفلت بها بلادهم الجملية، وكان من المنطقي تبعاً لذلك أن تشيع معاني الطبيعة في موضوعات الحب والغزل ويسري نسغهما في عناصر تصوير جمال المرأة[1]، عند الشاعر المبصر وغير المبصر.

فقد نقل لنا الأعمى التطيلي تشبيه المرأة ومحاسنها بمفاتن الطبيعية فقال: **(من البسيط)**

بـــدرٌ لملـــتمسٍ، غصـــن لمعتنـــقٍ ... خمـــر لمغتبـــق، مســـك لمنتشـــق
كأنمـــا الـــروضُ أهـــداها وشـــيعَها ... فاستصـحبت لمـةً مـن طربـة العَبَـقِ
تتوجـت بالـدجى، فالشـعر مـن غَسَـقٍ ... والخـد مـن شـفق، والثغـر مـن فلـقِ
ألهـو بمسـك شـذاها لا احـاول مـا ... وراءَ ذاكَ ولـو حاولـت لـم أُطـقِ
فبـتُّ أحسـب أنـي قـد طرقـتُ بهـا ... روضـاً شـممت بـه طيبـاً ولـم أذقِ[2]

لم يترك الشاعر المكفوف شيئاً إلا وقد تطرق إليه، سواء أكان هذا الشيء معنوياً أم لفظياً، قريباً أم بعيداً، وفي أغراض الشعر كافة.

ومهما كانت قوة الرجل وحيلته فإنه يحتاج إلى المرأة، وهذه هي حكمة الله – سبحانه وتعالى – في خلقه إذ إن (المخلوق المبتلى بمحنة انشطاره ذكراً وأنثى وتشتت طاقاته بينهما، والمُغرى لذلك بالبحث الوجودي عن شقه الآخر المتمم والمكمل له، مما أسفر على مر العصور عن حكايات وقصص متجددة ومتشابهة أحياناً في مضامينها وإن اختلفت الأسماء والأشكال)[3]، لذا لا بدَّ من أن يكون للشاعر للشاعر المكفوف أشياء كثيرة في حياته تشعره بالقلق والطمأنينة، بالخوف والأمن،

(1) ينظر: ملامح الشعر الأندلسي، تأليف: الدكتور عمر الدقاق، دار الشرق العربي – بيروت، 1973م: 207.
(2) ديوان الأعمى التطيلي: 88.
(3) المغيب والمعلن قراءات معاصرة في نصوص تراثية، تأليف: الدكتورة نادية غازي العزاوي، دار الشؤون الثقافية – بغداد، ط1، 2002م: 30.

وبالهجر والحب، بالحلم والواقع، فضلاً عن عاهته التي تلازمه في هذه الأحاسيس كلها.

والمرأة في حياة الشاعر "شيء" أولاً وفارز "بالحث" ثانياً، ومن هذه الملاصقة بين الشيء وعنصر الحث تذهب المرأة إلى أن تكون في حياة الشاعر وأدبه على نحو من: 1) الرمزية، 2) الحاجة، 3) الإيحاء، 4) التجسيد، 5) المعاناة. ويبدو من هذه النقاط الخمس التي ذكرتها أنها لا تعدو أن تكون أساساً من أساسيات الشاعر إنساناً اعتيادياً أولاً ومن ثم إنساناً متفوقاً، ومن ثم إنساناً مفترقاً ثالثاً، ولكي يعشّق الشاعر هذه الخصال الثلاث: ((الاعتيادية والتفوق والافتراق)) تعشيقاً موفقاً، يحتاج إلى معدات قوله الأدبي بدءاً بالعقل مروراً بالوجدان وانتهاءً بوسائل التعبير ومنها اللغة[1].

إن الذي يدعو إلى حبّ المرأة والتغزل بها أمور كثيرة منها: اللقاء الذي يكون ما بين الرجل والمرأة وهو الدعامة الأولى للغزل، وقد يكون هذا اللقاء عن طريق النظر – عند الشاعر المبصر – أو عن طريق السمع – عند الشاعر المكفوف – ولو لم يكن هذا اللقاء ما كان ثمة غزلٌ، ولا كان ثمة حديثٌ، ولا كان ثمة وصفٌ لحب أو وداع، وما يتبع اللقاء من ذكريات وشؤون وما يتبع الوداع من حسرةٍ وأنين، ولو لم يكن هذا اللقاء ما كانت النجوى، ولا كان عتب وملام، ولا عرف الرجل من المرأة مواضع دلها وحسنها وفتنتها، ولا فاض شعره بوصف ذلك كله، وما يتبع هذا الوصف من فنون[2].

وليس اللقاء وحده له الأهمية في الحب والتغزل، وإنما رضاء المرأة أيضاً، و(منذ دبت الحياة البشرية على الأرض سعى الرجل إلى إرضاء المرأة في أساليب شتى، تفنن فيها واعمل براعته وخياله وعبقريته، فطوراً كان يغني بالأصوات،

(1) ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي: 73.
(2) ينظر: الغزل عند العرب، تأليف: حسان أبو رحاب، مطبعة مصر –القاهرة، ط1، 1947م: 16.

وطوراً يعزف على الآلات، وأحياناً يختار أجمل القول وأطيب الحديث)[1] لكي يستحصل رضا المرأة.

وقد أعانت المرأة الشعراء على تذوق طبيعتهم واِستلهام موضع الفتنة فيها، كانت إلهامهم في مجالس اللهو، ومشارب الخمر، ومراقص الأنس، ومحافل الغناء[2].وإنها – المرأة – لم تختلف كثيراً عند الشعراء المكفوفين في أوصافها الجمالية والجسدية موازنةً مع المبصرين من الشعراء، فقد نقلوا المعاني نفسها. وعن تلك الأوصاف يقول ابن جابر:

(من الطويل)

يُقسِّم بين الروض والظبي حُسْنَهُ ... دلالاً ولم يجعل لعاشقه قسطا
فللروِّض خدّاهُ وللظبي لحظه ... وللغصن منه المشيُ أسرعَ أو أبطا
بنفسي الذي قد أكمل الله حُسنها ... فمن قد رآها قال:سبحان من أعطى[3]

في هذه الأبيات يضع الشاعر أيدينا على طريق الهوى إلى قلب الشاعر المكفوف وجعلنا نلمح من القراءة الأولى أن وصفه سار بصورة مقسمة بين الروض والظبي في الحسن والدلال، وكيف مزج بين محاسن المرأة ومفاتن الطبيعة التي كان لها الأثر الأكبر في أشعارهم، مما جعل العاطفة الكبيرة الجياشة تطفو على الأبيات لتصوير المرأة تصويراً خالداً.

إن الأبيات تحمل إشارات توكيدية على قوة شخصية المرأة في خلفيات المكفوفين لذا أراد إثبات وجوده الحسي والمعنوي من خلال هذه المؤكدات.

لقد عد الإنسان العين مدار السحر، ومبحث الفتنة[4]. وهي من أهم الحواس الإدراكية التي يمتلكها الإنسان، فهي التي تجعله يبصر الأشياء ويصورها بعد

---

(1) الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية، تأليف: الدكتور محمد سامي الدهان، دار المعارف – القاهرة، ط3، (د. ت): 7.
(2) ينظر: البيئة الأندلسية وأثرها في شعر عصر ملوك الطوائف، تأليف: الدكتور سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، (د. ت): 443.
(3) ديوان المقصد الصالح: 47.
(4) ينظر: شعر المكفوفين في العصر العباسي: 172.

إدراكها وخزنها، وإظهارها متى احتاج إليها، فكيف يصنع من لا يرى هذه الأشياء؟! وكيف هي حالته النفسية إزاء هذه النعمة العظيمة التي يتذكرها كلما سئل عن شيء، أو كلما أراد أن يقوم أو يقعد...

إن هذه الحالة النفسية للشاعر المكفوف واضحة في أشعاره، وان حرص على عدم إظهارها لكن لدى الشاعر المكفوف حواس أخرى أغنته عن حاسة البصر – كما رأينا في مبحث التعويض بالحواس الأخرى – وهذا ما أثبته في أشعاره، إذ إن المطلع على شعر المكفوفين لا يعرف أنهم مكفوفون، إلا من خلال بعض العلامات أو الألفاظ الدالة على عاهتهم، لذا جاء وصفهم في الحب بصورة حية، ولفظ محكم، ومعنى صادق، من ذلك قول أبي الحسن الحصري:

(من الطويل)

بذلتُ له الودَّ المصون وأدمعي ... فلم يقتنع حتَّى وهبتُ له القلبا
بدا لي فقلتُ: اردُده قال ملكتُه ... ولو لم تَهَبه لي تملَّكته غصبا
بعينين هاروتيتين كأنَّما ... يجرّدُ نحوي منهما صارماً عَضْبَا[1]

فالحصري واحد من أولئك الشعراء الذين بذلوا كلّ شيء لإرضاء محبوبته من الودِّ المصون والدموع والقلب الذي تملكته، دون أي مقابل لهذه الهبة التي أعطاها لها. بل إننا وجدنا أنَّه نادى بالشكوى من حبه على قومه بأن ينصفوه من هذا الذي لا يرعى فيه إلاًّ ولا ذمة. فقال:

(من الطويل)

عسى الطيف إن يزدارني فأبثّه ... سرائر شوقٍ للحبيب المودِّع
عهدت الهوى حُلواً فلما شربته ... تجرعتُ منه غُصَّةَ المُتجّرِعِ[2]

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني: 213.
(2) م. ن: 229.

إن الدعاء الذي جاء في أول البيتين، أضاف إليهما بعداً نفسياً خاصاً بيّن فيه الشاعر المكفوف حالة تمكن المرأة وإظهارها لابسة رداء العظمة ورافضة للشاعر سعيه هذا، وفي أي لون من الألوان التي يستخدمها لترويض جانبها الرافض، وإن دلّ هذا على شيء فإنه يدل على ضعف شخصية الشاعر المكفوف المنهزم تجاه المرأة، وكأن العاهة كانت حجر العثرة التي بينه وبين المرأة المعشوقة.

لم يكن ضعف الشاعر الحصري وحده هو الواضح، وإنما وصل هذا الضعف إلى أبيات الأعمى التطيلي، وهذا ما نقله لنا في أبياته، قال: **(من البسيط)**

بكى المحبُّ وأيدي الشوق تقلقه أصابه خرس فالدمع منطقهُ
ما عنده غير قلبٍ مات أكثره وما تبقى لـه إلا تعلقه[1]

مثله قوله: **(من البسيط)**

هيهات يسلو فؤادي عنكم أبداً إني ووجدي بكم باقٍ على الأبد[2]

فالشاعر المكفوف يعاني الفقدان الحقيقي، أو فقدان وهمي للحب الذي هو أحوج ما يكون إليه، ففيه قهر للواحدية، ومحاولة للتخلص من وطأة الشعور بالخوف الناجم عن تلك الوحدة. ولكنه في الغالب لا يجد هذا الحب، أو أنه – أحيانا – يتوهم انعدامه بسبب عاهته ويقينه في انصراف المرأة عنه، وزهدها فيه، وما تولده العاهة لديه من شعور بالخوف من الفشل[3].

ونرى هنا أبا القاسم السهيلي[4] (ت 581هـ)، صاغ حالة الرفض بصورة فلسفية قلب فيها رفض حبيبته إلى قبول ومعارضتها إلى موافقة.

(1) ديوان الأعمى التطيلي: 237.
(2)ديوان الأعمى التطيلي: 248.
(3) ينظر: شعر المكفوفين في العصر العباسي: 180.
(4) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي السهيلي. ويكنى أبا القاسم، وأبا زيد، من أهل مالقة... كف بصره بما نزل به وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان عالماً بالقراءات واللغات والعربية وضروب الأدب، مقدماً في

يقول: **(من الكامل)**

لمـــا أجـــابَ بـــلا طمعـــتُ بوصـــلِهِ إذ حـــــرفُ لا حَرْفَـــــان مُعْتَنقـــــان
وكـــذا نَعَـــم بِنَعـــيم وَصْـــل آذَنـــت فـــنَعَمْ ولا فـــي الحـــبِّ مُتفقـــان[1]

وله أيضاً بيتان يدلان على حبه العفيف وحيائه المتزايد الذي يشف عن معاناة قاسية كان يتكبدها الشاعر المكفوف من المرأة، يقول: **(من الطويل)**

أســـائل عـــن جيرانـــه مـــن لقيتـــه وأسـكتُ عـن ذكـراه والحـالُ تَنطـق
ومـــا بـــي إلـــى جيرانـــه مـــن صـــبابةٍ ولكـــن قلبـــي عـــن صـــبوحٍ يُرَقّـــقُ[2]

تبدو معاناة السهيلي واضحة من حبه العفيف، وقد زاد معاناته أسىً حياؤه الذي منعه السؤال عن حبيبته، لذا زاد حزنه بسبب كتمانه وحيائه وعاهته. وتنم الأبيات على أن الشاعر كان على ثقافة عالية، والتزام كبير بمبادئ الدين، وأن هذه الأبيات

الفهم والفطنة وله حظ وافر من قرض الشعر. ولد سنة 509هـ، وتوفي في مراكش سنة 581هـ. ينظر ترجمته: بغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تأليف: أبي جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت 599هـ)، قدمه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ط1، 2005م: 340؛ المطرب من اشعار اهل المغرب : لابن دحية ذي النسبين أبي الخطاب عمرو بن حسن، تحقيق: إبراهيم الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه الدكتور طه حسين، المطبعة الاميرية – القاهرة، ط1، 1954م: 230؛ إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط1، 1986: 2/ 162؛ التكملة لكتاب الصلة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ابن الآبار (ت 658هـ)، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر – بيروت، 1995م: 3/ 32 – 33؛ المغرب في حلى المغرب، تأليف: علي بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد (ت 685هـ)، حققه وعلق عليه، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط4، 1993م: 1/ 448.

(1) ينظر: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ، لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي (ت 598هـ)، أعده وعلق عليه: عبد القادر محداد، دار الرائد العربي – بيروت، 1970م: 140؛ وينظر: نفح الطيب: 2/ 103.

(2) زاد المسافر: 138؛ والإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني الشهير بلسان الدين الخطيب (ت 776هـ)، شرحه وضبطه وقدم له: الدكتور يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2003م: 3/ 365.

جاءت عفو الخاطر، أو رُبما تكون فلتات لسان، أو معاناة وجدان، اجتمعت فكونت هذه الأبيات.

أما الشاعر أبو عبد الله بن الحداد المكفوف[1] فإنه من شدّة حبّه شعر بأن منزل الحبيبة قريب منه على الرغم من بعده، لقوله: **(من الوافر)**

لئنْ بَعُدَت مَنازلكم لأنتُم إلى قلبي بذكراكم قريب
وإن كانَ الزَّمان قضَى بِبَينٍ فما بان البكاءُ ولا النَّحيبُ[2]

إن إحساس الشاعر المكفوف بقرب المكان وهو بعيد يؤكد إحساسه بالأسى والحزن، وان كان يتمنى قربه ويأمل ذلك. بل أن الزمان كان له النصيب الأكبر في أحزان الشاعر فهو الذي حكم على الشاعر المكفوف بهذا البعد ولم يكتفِ بظلمته الدائمة، بل إنه حرمه من حبيبته أيضاً.

كانت هذه التقلبات من الشاعر الأندلسي نتيجة للحالة النفسية المضطربة التي خلفتها المرأة له فضلاً عن عاهته التي كان لها كبير الأثر في صنع هذه التقلبات والاضطرابات لديه.

لم يقتصر الشاعر المكفوف على حالة واحدة في الحب والعشق، إذ إنه صور أو نقل لنا حالات أخرى نابعة من نفسيته المضطربة ونزعاته الوجدانية تجاه المرأة، ومن هذه الصور، صورة العيون.

(1) أبو عبد الله بن الحداد المكفوف، كان أديباً مشهوراً بقرطبة، تُقرأ عليه الآداب والأشعار، ويتكلم على المعاني، وله أشعار كثيرة، (لم أجد له في المصادر سنة ولادة أو وفاة). تنظر ترجمته: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر: لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي (ت 488هـ)، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ط1، 2004م: 385؛ بغية المتلمس: 486.

(2) جذوة المقتبس: 385؛ بغية الملتمس: 486.

فالعيون سر الجمال وآيته وغايته، فلا نجد شاعراً كتب القريض إلا كان بدء تلك الكتابة حديثاً عن نرجس العيون وجفونها الصحاح وأهدابها الفاتكة، ونظراتها القاتلة[1].

ولا ندري سبب حب الشاعر المكفوف للعيون والتغزل بها وبأشكال وأوصاف مختلفة، ربما لأنه لا يمتلك هذه الحاسة التي سلبت منه، فخلفت له الظلام مكان النور، والقلق مكان الاستقرار.

فهذا ابن هذيل أحس بفتك العيون وقوتها، وجعلها كالخمرة المسكرة، يقول: **(من الوافر)**

كأنَّ عُيُونهن عُيونُ عينٍ ... فواترُ قد سكرن بغير راحِ
يموتُ العَذْلُ في أهل التَّصابي ... بهنَّ فما لأهل العشقِ لاحِ[2]

لم تكن هذه العيون عند شاعرنا عيوناً جميلة فحسب، بل إنها عيون ناعسة ذابلة، وقوية أيضاً تسحر كل من رآها وتقتله أحياناً، فكيف يصنع من عشق تلك العيون.

ونرى أن الحصري أحب العيون أيضاً، وشبهها بالنرجس، لقوله: **(من الكامل)**

ودعت من أهوى بل استودَعْتُها ... قلبي وسِرَّ مدامعي وزفيري
فبكت بنرجستين خفتُ عليها ... نفسي فلم ألثم بغير ضميري
قالت: أترحلُ والأحبَّةُ هاهُنا ... قلتُ: القضاءُ كما علمتِ ضروري[3]
ضروري[3]

يبدو أن الحصري استشعر موقف الوداع هذا، ليسجل انتصاراً كبيراً لنفسيته المهزومة أمام المرأة، وهي تطلب منه البقاء بل تلح على ذلك.

(1) ينظر: ألوان من الجمال والغزل، الدكتور عبد العزيز جادو، دار المعارف – القاهرة، 1988م: 1988م: 44.
(2) شعر يحيى بن هذيل: 76.
(3) أبو الحسن الحصري القيرواني: 114.

إن هذه الأبيات جاءت وهي تحمل عاطفة جياشة، وكأن شاعرنا غير متصور أن هذا الموقف قد مر به.

لذا جاءت الأبيات وفيها إشارات نشوة حالمة، على الرغم مما يبدو على الأبيات من بكاء وحزن وحرمان وفراق.

إن العيون التي أحبها الحصري كالنرجس بل هي أرق، لذا حين لثم دموعها لثمها بإحساس صادق، وبضمير حي، فخاف على محبوبته من هذا الموقف.

إن الشاعر الأندلسي المكفوف من شدة حبه للمرأة تغزل بكل شيء فيها، ومنها كما أسلفت العيون، والجفون أيضا وبكل ما يحيط بتركيبة العين، لذا قال الحصري في نظرات المرأة الساحرة: **(من الطويل)**

صبوت إليها فاشترتني بلحظها رخيصاً، كذاك العاشقون رخاص[1]

يعود الحصري إلى ما كان عليه من الضعف أمام المرأة، وقد رأينا قبل قليل كيف سجل انتصاراً عليها؛ ولكن كما هو واضح أن الشاعر المكفوف لا يستطيع الثبات أمام سطوة المرأة لذا نرى ان الحصري أصبح رخيصاً ضعيفاً، كالسلعة البائرة التي لا ينظر إليها المشتري.

وهذا ابن جابر يدعو الله بأن لا يعذب من عذبته، ولا يسهد من سهدته بجفونها الراقدة. يقول: **(من المتقارب)**

فلا عذّب اللهُ من عذّبَتْ فؤادي بناعم تلك القُدود
ولا سهّد الله من سهَّدَتْ جُفوني بتلك الجُفون الرُّقودِ[2]

إن معاناة ابن جابر واضحة في بيتيه، وضعفه بارز، فهو يريد إثبات وجوده أمام المرأة، مع إعلان استسلامه لها.

(1) م. ن: 225.
(2) ديوان المقصد الصالح: 332.

هناك تباين كبير وواضح في وصف العيون والجفون بين الشعراء المكفوفين وهذا ما لمحناه في أبياتهم الشعرية، فقد أخذ الحس عند الشاعر المكفوف مكان الخيال، وأغراه فقد البصر باستحضار ما فاته من المحسوسات، التي لا يقنع بها المبصرون[1]. فراح يكثر من هذه الصور التي تدعو إلى التغزل بالمرأة عن طريق عيونها.

(1) ينظر: شعر المكفوفين في العصر العباسي: 188.

الغزل عند الشاعر الكفيف:

يغرد طائر الحسون لأنثاه وتغريده غزل وغرام والطاووس يعجب بنفسه، وما إعجابه بثوبه الرائع إلا نوع من الحب والإغراء، وأول ما يتعلم الناشئ من الشعر الغزل، سنة الطبيعة في الأحياء، تفنناً منها في أساليب البقاء[1].

إن الأبيات والقصائد الكثيرة التي قرأتها في شعر المكفوفين عن المرأة أفكار وآراء حول المرأة. وكيف تغزل بها الشاعر المكفوف على الرغم من عاهته التي تحجب عنه رؤيتها وإن كان يسمع حديثها ويشم عطرها ورائحتها، وهذه الأشياء لا تكفيه ولا تشبع رغباته ولا تشفي غليله، لذا وجد نفسه أمام صراع نفسي، وعقبة حسية تمنعه من رؤية محبوبته التي يتغزل بها. فلم يجد شيئاً يعبر به عما يدور في خلجات نفسه إلا لسانه الذي يوصله إلى قول الشعر، (كما أن جميع الناس بغير استثناء يجدون أنفسهم بحاجة إلى استخدام اللسان كأداة يعبرون من خلالها عما يساورهم من أفكار ومشاعر)[2].

إن سمات شخصية المكفوف، وأثر عاهته في علاقته بالمرأة، يظهران – بجلاء – اهتماماً زائداً بالمرأة، وعناية مفرطة بها طبيعةً وأخلاقاً، وعلاقةً، حتى استحوذ موضوعها على ذهنه، فأمدته بكثير من موضوعات شعره الاجتماعية نسيباً وتشبيباً، ويحس قارئ شعر المكفوف، ويستنتج أن الشاعر يمارس سلوكاً تعويضياً لإثبات الذات، والرجولة المهزومة – وهماً أو حقيقة – في نظره أو نظر مجتمعه ومنهم المرأة مضمون شعره الغزلي[3].

وعلى الرغم مما قيل في الشاعر المكفوف فإن لديه مشاعر وأحاسيس تفوق قرينه المبصر أحياناً، وإن كانت أبياته يسري فيها طابع الحزن العميق عند قراءتها

---

(1) ينظر: دراسات في الأدب والفن، حنا نمر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت، ط1، 1982م: 154.

(2) سيكلوجية الإبداع في الفن والأدب،يوسف ميخائيل أسعد، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد،(د.ت): 12.

(3) ينظر: شعر المكفوفين في العصر العباسي: 83.

أو الاستماع إليها. فهذا يحيى بن هذيل يقول في الوداع والفراق:

(من الكامل)

شاهدتهم ولقد أخاف عناقهم ... شحاً على أجسامهم أن تحرقا
فتركت حظي من دنوي منهم ... ومن الوفاء أن تحب فتصدقا
وأقل فعلي يوم بانوا إنني ... قبلت آثار المطيّ تشوقا
ولو أن عذرة شاهدت من موقِفي ... شيئاً لحذرها بألا تعشقا[1]

إن الحزن الذي يتركه الفراق في قلب الإنسان شيء كبير ومؤلم، وقد أحس ابن هذيل بهذا الحزن حين تركته حبيبته وحيداً يعاني حبه.

إن ترك المرأة للشاعر المكفوف وصدها عنه ليس بالجديد عليه، وقلما نجد من الشعراء المكفوفين من لم يعانِ هذه الحالة، أو يمر بها. وقد عبّر الشاعر أبو بكر المخزومي[2] (ت 541هـ) عن هذا الصدود بقوله: **(من الخفيف)**

الخفيف)

رُبَّ حسناء كالغزالةِ جيداً ... والتفاتاً تزري بحور الخلود
كلمتني فطار قلبي إليها ... وترجَّيت للظماءِ ورودي
فتجافت عن منظري ثم قالت ... أترى الحور واصلات القرود
لم ألمها على الصدود لأني ... كنت أهلاً من مثلها للصُّدودِ[3]

(1) شعر يحيى بن هذيل: 105.
(2) أبو بكر المخزومي الأعمى المورواري المدوَري، كان أعمى، شديد القِحَة والشرّ، معروفاً بالهجاء، مسلطاً على الأعراض، سريع الجواب، ذكي الذهن، فطناً للمعارضين، سابقاً في ديوان الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره. تنظر ترجمته: خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (ت 597هـ) تحقيق الأستاذين: عمر الدسوقي، علي عبد العظيم، دار التونسية للنشر، (د. ت): 4/ 2/ 154؛ المغرب: 1/ 228؛ الإحاطة: 1/ 231 – 232؛ نفح الطيب: 1/ 190.
(3) المغرب: 1/ 231.

تؤكد هذه الأبيات من خلال المشاعر الصادقة، والعاطفة الجياشة، أن المخزومي مر بحالة حب عظيمة. وهذا الحب كما يبدو من طرف واحد فقط لذا كان فيه معاناة كبيرة من قبل الشاعر. وعلى الرغم من هذا فقد رفع شاعرنا مكانة المرأة، لذا جاءت صورتها متوشحة بالجمال والحسن والقوة والعنفوان.

وكم تمنى وصلها، واللوذ بقربها حتى يروي عطشه منها لكنها بالمقابل رفضته وسخرت منه ومن عاهته، حتى إنها أربكته، وجعلته يفقد توازنه، وثقته بنفسه، لذا استسلم لقوتها وجبروتها الطاغيين.

أما حالة الهجران التي عاناها الشاعر المكفوف فكثيرة، وهي تضاف إلى أزماته الكثيرة والمتعددة، وقد نقل الحصري كيف أنه ضعف واستكان وشعر بالفراغ بعد أن هجرته المرأة، (محبوبته)، يقول:

(من الطويل)

وشى عندك الواشون بي فهجرتني ... وحملتني في الحب ما لم أكن أقوى
ولو أنني إذ كنت عندك مذنباً ... وجدت سبيلاً حيث أسألك العفوا
وصالك لي محييٍ وهجرك قاتلي ... وحبك شغلٌ كنت من قبله خلوا[1]

أظهر الحصري ضعفه عندما هجرته محبوبته، وقد شعر بالحرمان الحقيقي، لذا راح يعتذر ويتوسل بان لا تتركه، لأنَّ الوصل لديه هو الحياة، والهجر هو الموت.

يبدو من خلال أبيات الحصري أن هذه المرأة قاسية لا رحمة عندها تجاه الشاعر المكفوف الذي أحبها بصدق، وهي لم تحبه يوماً. بل إنها بمجرد وشاية تركته وحده يعاني هجرها.

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني: 238. وللمزيد من هذه الشواهد. ينظر: أبو الحسن الحصري: الحصري: 108، 109، 114، 116، 118، 143، 144، 212، 213، 217، 219.

كما عبر الشاعر غالب بن عبد الرحمن[1] (ت 518هـ) عن صدود المرأة وانصرافها عن الشاعر المكفوف في قوله:

(من الكامل)

كيف السُّلوّ ِولي حبيبٌ هاجرٌ قاسي الفؤاد يَسُومني تعذيبا
لما درى أنَّ الخيال مواصلي جعل السهاد على الجفون رقيبا[2]

الشاعر المكفوف في هذين البيتين أثبت للمرأة قسوتها المعهودة الحقيقية التي يعانيها الشاعر المكفوف، ولم تكتفِ بما في المكفوف من معاناة للعاهة، بل راحت تسخرمن مشاعره، وتلعب بأعصابه، حتى أصبح المكفوف محط سخرية المرأة، تصله متى شاءت، وتهجره متى شاءت، بل إنها من شدة قسوتها صارت تراقب حتى خيال المكفوف لتحرمه من طيفها.

وأما قول الأعمى التطيلي: **(من البسيط)**

ركبت هول الهوى من غير تجربةٍ وراكب الهول محمول على العطب
تركتني ياحياتي للردى غرضاً تفديك أمي من صرف الردى وأبي[3]

فالتطيلي يمتلك القدرة على تصوير انفعالات النفس بدقة ومهارة من خلال مزج الأفكار التي تبديها مخيلته تاركاً للقارئ حرية التصوير والانطلاق[4]، إذ إنه

(1) غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي، يكنى أبا بكر، من أهل غرناطة كان من أهل العلم والعمل، مقرئاً فاضلاً، رواية، قرأ القران بالسبع على ابي الحسن بن عبد الله الخضرمي، كف بصره في آخر عمره. ولد سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وتوفي ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وخمسمائة. تنظر ترجمته: الصلة في تاريخ علماء الأندلس لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت 578هـ)، واعتنى به ووضع فهارسه: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط1، 2003م: 363؛ وبغية المتلمس: 408 – 409؛ والإحاطة: 4/ 200 – 201؛ وموسوعة شعراء الأندلس: 46.
(2) الإحاطة: 201/4.
(3) ديوان الأعمى التطيلي: 247.
(4) ينظر: الأعمى التطيلي حياته وأدبه، تأليف: عبد الحميد عبد الله الهرامة، المنشأة العامة للنشر للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، ط1، 1983م: 202.

أثبت شيئاً مغايراً في قوله كالفخر تجاه صدود المرأة وتركها له حين قال: (ركبت هول الهوى) وهذا ما يحاول الشاعر إثباته ليبرهن قوته – رجولته المنهزمة – أمام المرأة.

ويطالعنا ابن جابر في ضعفه حيال المرأة الرافضة له – وإن كان له قصص في حبها – وهو يريد أن ترفع شكواه، علّه يجد من يسمعها، لقوله:

(من البسيط)

صدُّوا وتاهوا فلي في حُبِّهم قصصٌ ... يا ليت شعري إلى من تَرفعُ القِصصُ

صالوا وقالوا لنا أجرٌ وكيف لهم ... أجرٌ على قتلِ صَبٍّ لَيتَهم خَلَصوا

صاروا ملوكاً وصرنا كالعبيد لهم ... كم فرصةٍ من دمي يوماً قد افترصوا

صدُّوا وليس لهذا الصد من سببٍ ... في الحب لكن على قتلي به حرصوا[1]

ضمَّن ابن جابر أبياته كثيراً من المعاني منها: القبول والرفض، حين سعى لإرضائها وهي تسعى لرفضه، ومنها الحضور والغياب، فهو يريد بقاءها وحضورها، وهي تريد هجره وصدوده، ومنها الضعف والقوة، فقد جعلها تشعر بضعفه واستكانته، وأثبت لها القوة والإصرار، ومنها الحياة والموت فقد أوضح في أبياته حياتها، وهي تسعى لقتله وتحرص على ذلك ومنها الملوك والعبيد، فقد جعلها من طبقة الملوك، وهو من طبقة العبيد.

لقد مثلت هذه الثنائيات اضطراب نفسية الشاعر المكفوف، بشكل واضح، كما مثلت ضعفه وتخبطه من المرأة التي شكلت مع العاهة قوة مزدوجة لتفتك بآمال الشاعر المكفوف وتحطيم غاياته.

إن ثقة الشاعر المكفوف تكاد تصل إلى الانحطاط النفسي تجاه النساء وهذا ما يبعث في نفسه الشعور بالعظمة، وهو شرط ضروري عند الكثيرين، الذين يبحثون

(1) ديوان المقصد الصالح: 93. وللمزيد من هذه الشواهد. ينظر: ديوان المقصد الصالح: 34، 36، 37، 38، 42، 52، 54، 62، 65، 72، 84، 91، 141، 186.

عن النجاح الجنسي[1]، أو يخشون الجنس – عموماً – ويتوهمون الفشل والإخفاق فيه وهو ما يعانيه المكفوف، والشاعر المكفوف على وجه الخصوص[2].

الجنس والبصر:

إن من أكبر وأهم النواحي التي ترتبط بوجدان الإنسان وتؤثر في نفسيته وبناء شخصيته ونجاحه وفشله في الحياة الناحية الجنسية.

يعدّ الجنس ناحية مهمة في حياة معظم الكائنات الحية، وهو يمثل عنصراً أساسياً ثابتاً ودائماً في حياتها، يتمثل في حاجة كلا الجنسين من الخليقة للالتقاء الجنسي بطريقة أو أخرى للتخصيب والتكاثر، ومن ثم البقاء.

وللجنس في حياة الإنسان ما لا يقل عن أهميته في حياة الكائنات الأخرى، غير أن نفاذ العامل الجنسي في حياة الإنسان وسلوكه وعاطفته وتفكيره أعظم وأوسع من نفاذه في حياة الكائنات الأخرى بالرغم مما يبدو من أن الجنس مجرد حاجة حياتية[3].

وهناك أسباب (نفسية) للاختلاف في الشعور الحسي في الجنس يعرف في الطب بـ (حب النظر) أو (حب الاستعراض)، فحواس الإدراك الخارجي عند الذكر أكثر أهمية منها عند الإناث. ويبدو أن هذا موجود في الحيوانات أيضاً[4] وحتى بهذه الصورة فانه ليس لهذه الحاجة ما للحاجات الأساسية الأخرى كالجوع والعطش والدفاع عن النفس من أهمية حياتية.

ومع ذلك تظل الناحية الجنسية من أهم نواحي الحياة الإنسانية[5]، ولاسيما عند المكفوف. وقد أورد الصفدي (ت 764هـ) مثلاً يبين فيه أن العميان أكثر الناس نكاحاً، كما جاء في المثل، (أنكح من الأعمى)[6] وقد (حكى ابن المرزباني في

(1) ينظر: علم النفس الجنسي، أوسفلد شفارتس، تعريب: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1972م: 304.
(2) شعر المكفوفين في العصر العباسي: 188.
(3) ينظر: النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: 1/ 296.
(4) ينظر: علم النفس الجنسي: 207.
(5) ينظر: النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: 1/ 296.
(6) جمهرة الأمثال ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت395هـ) ، دار الفكر – بيروت : 299/2

تاريخه عن الأصمعي أنه قال: هما طرفان ما ذهب من أحدهما زاد في الآخر. قلت: ولهذا نرى الخُدّام، وهم الخصيان يعمر الإنسان منهم وبصره قوي)[1]، أي إن لدى المكفوف شهوة أو غريزة أو طاقة أكثر من المبصر.

وقد وجدتُ أن هناك طرقاً للتعبير عن الجنس، فهناك من يحدد التعبير بالعلاقة المباشرة بين الجنسين وفي المجال البايولوجي فقط، في حين يرى آخرون أن التعبير عن الواقع الجنسي يمكن أن يأخذ عدة طرق غير مباشرة تشمل السلوك والعاطفة والتفكير والعمل والإبداع[2]، ومن هذه الطرق التي تهمنا في دراستنا (طريقة الإبداع) الإبداع) كما عبر عنها الدكتور علي كمال فإنها هي التي جعلت المكفوف يبدع ولاسيما في باب الجنس، فعلى الرغم من ملازمة العاهة للمبدع طوال حياته، فلم يكن لها أثرٌ إلا في بعض ما نلمحه في بعض أبياته، إذ إنه يجعل لها مكانة من خلال إبداعه المتواصل الذي يفوق به المبصر أحياناً.

وقد اتخذ الشاعر الأندلسي المكفوف من الغزل الحسي – الماجن – مجالاً واسعاً، لتفريغ بعض طاقاته وشهواته المتزايدة، فهذا يحيى بن هذيل يتسلسل بوصف المرأة في الجانب الحسي، إذ إنه يصور لنا مواطن جمال المرأة، وهما الأرداف والنهود، فيقول:

(من الوافر)

مشين إلى الرّكاب وقد أُنيخَتْ ... كما يَمشي الأسارى في القُيُودِ
تغازلُنا مُلاء الخزّ عَمداً ... بأطرَافِ الروادِفِ والنُّهُودِ[3]

من الواضح أن ابن هذيل خبير بمواطن جمال المرأة، لذا اختار هذه المواطن التي تكون مركز الإثارة عند الرجل، واصفاً إياهنَّ بالمشي البطيء الجميل، مظهرات كل الحُلي – من حجول وغيرها – في هذه المشية، كالأسارى بالقيود، أما النهدان فهما العضوان البارزان اللذان يسبيان العقول بحسنهما، ويجذبان الأبصار، وتهفو

(1) نكت الهميان: 19.
(2) النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: 1/ 298 – 299.
(3) شعر يحيى بن هذيل: 81.

إليهما الأفئدة، جّمل الله بهما صدر الحسناء ببديع صنعه كيما يكونا نعيماً لبعلها، ونبعاً ثراً يفيض بكل الحنان لطفلها[1].

وبعد ذلك يصف لنا ابن هذيل الليلة الجميلة التي قضاها مع هذه الحسناء وهو يعيش أجمل ليلة في حياته كما يبدو وبهذه الصورة، يقول: **(من الطويل)**

عجبت لليل الوَصْلِ أسرعَ سيرُهُ وقد كان ليلُ الهجر أبطا واعجزا
وبتنا جميعاً لالتصاق جسومنا ولو مُيِّزَ مِنَّا بَعضُناً ما تَميَّزا[2]

لم يكن ليل ابن هذيل هذا فيه شيء من السواد أو الظلمة أو الطول، أو الملل، كما هو معتاد لليل عنده، بل إنه أصبح أجمل إشراقاً من الشمس عنده، ويسير بسرعة عالية.

وأما الطريقة التي تعانق فيها الحبيب مع الحبيبة، فطريقة عجيبة حتى إن الناظر إلى هذا العناق لا يميز أحدهما من الآخر، وهذا يدل على الحالة النفسية المضطربة التي كان يشعر بها المكفوف دائماً، والحرمان من المرأة، حتَّى أصبح كالأرض الجرداء، فنزل عليها المطر.

وقد سار على نهج ابن هذيل، الحصري القيرواني فهو أيضا يتمتع كقرينه بروح المداعبة الجنسية مع المرأة، وقد زاد في هذه الصور. فقال: **(من الطويل)**

ضُحى وَرد خدّيه يعود بنفسجاً إذا ما اجتناه عاشقٌ بعِضاضِ[3]

لا شك في أن الحصري لديه إحساس مرهف أمام المرأة، وإن استخدم شيئاً من القساوة الجنسية مع المرأة حين قال: (بعضاض)

(1) ينظر: ألوان من الجمال والغزل: 58.
(2) شعر يحيى بن هذيل: 93.
(3) أبو الحسن الحصري القيرواني: 226.

يبدو أن هذين الخدين رقيقان، يمسيان أو يعودان بنفسجا، وهو اللون الذي يسببه عضه لخد الحبيبة.

ومن الواضح أن الشاعر يريد أن يثبت رجولته من جهة، وأن يشبع شهوته من جهة أخرى.

ويستمر الحصري في هذا المجال من الغزل الحسي، حاساً فيه بالراحة التامة والاستقرار النفسي اللذين طالما سعى إليهما الشاعر المكفوف، يقول: **(من الكامل)**

قالت وهبتك مهجتي فخُذِ ... ودَعْ الفراش ونم على فخذي
وثَنت إلى مثل الكَثيب يدي ... فأجَبْتُها نِعم الأريكةُ ذي
وهممتُ لكن قال لي أدبي ... بالله من شيطانك استعِذِ
قالت: عففتَ فعفت قلتُ لها ... مذ شبت باللذات لم ألُذِ[1]

يبدو أن شاعرنا يتمتع بالراحة النفسية في هذه الأبيات، وهذا ما يخلفه الإشباع الجنسي، فالعلاقة بين الرجل والمرأة إن كانت سلبية أم ايجابية فان فيها عمليتي النظر والعرض، وهو الأمر الذي يكون عند الإنسان من أول لقاء يرى فيه المرأة.

لقد بدت الناحية الجنسية حاجة دائمة وملحة عند الشاعر المكفوف، والسعي إلى إرضائها لا يمثل حاجة بايولوجية تضمن البقاء فحسب، وإنما تمثل حاجة نفسية تخدم أغراض المتعة والمعاناة وتكون الحوافز المهمة في الحياة الإنسانية[2].

وقد تطرق الحصري إلى النهود كما تطرق ابن هذيل من قبل فقال: **(من الوافر)**

ولمَّا أينعتْ رُمّانتاها ... ونادى الوصل حي على القِطاف
تأذَّت فيهما بفمي فقالت ... شمائلُ عاشِق وفِعال جافِ[3]

البيتان يوضحان أن التي تغزل بها الحصري فتاة صغيرة، في ريعان شبابها، وهذا يدل على أمور: منها أن الشاعر المكفوف نال مبتغاه من المرأة، وهذا يفضي

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني: 112.
(2) ينظر: النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: 1/ 296.
(3) أبو الحسن الحصري القيرواني: 113.

إليه المتعة واللذة. ومنها أن الشاعر المكفوف كسر الحاجز بينه وبين المرأة؛ بل أن الفتيات أصبحن يطلبن قربه وهذا إثبات للذات أراده الشاعر المكفوف لنفسه، ومنها – وهذا هو المهم – أن الشاعر أراد أن يعتم على عاهته.

ويطالعنا الأعمى التطيلي ببيتين يفصح بهما عن إحساسه المرهف، في الغزل الحسي، إذ يقول: **(من الكامل)**

هل تذكرين لياليـاً بتنا بها ... لا أنت باخلةٌ ولا أنا أمنع

أُثني عليك وكل اصفر مرهفٍ ... لهواك يَعنُو أو لحمدك يَضْرعُ[1]

يتوجع التطيلي من الحاضر، فتوجه إلى الماضي وهو يتذكر الليالي الجميلة التي قضاها بكنف حبيبته، وهما في رضاء لا بخل فيه ولا صد.

إن النجاح الجنسي الذي يسعى إليه الشاعر المكفوف هو شعور كبير؛ لأنه يعوضه من عمق الشعور بالعاهة. فحين لا تهبه المرأة الحب – وهو أحوج ما يكون إليه – فلا غرابة من أن يعوضه فيصنعه، ويتخيله[2].

وهذا ما يبدو في بيتي التطيلي، فهو يريد الهروب من الواقع المؤلم الذي يعيش فيه، لعله يصل إلى اللذة والمتعة فينسى عاهته.

وهذا ابن جابر تصده إحداهن، وهو يريد أن يقبلها أو ما شابه ذلك بقوله: **(من الوافر)**

وتروي سحرَ بابل عن جفون ... تحدِّثُ منه أخباراً صحاحا

عَرَضْتُ لها لألثمها فقالتْ ... لحاكَ الله ما تخشى افتضاحا[3]

لقد رفضت المرأة ما تعرضت له من هذا الشاعر، لذا قامت بصده والدعاء عليه، بسبب جرأته المفرطة لهذا العمل.

(1) ديوان الأعمى التطيلي: 78.
(2) ينظر: شعر المكفوفين في العصر العباسي: 184.
(3) ديوان المقصد الصالح: 135.

وكما يبدو أن الشاعر أراد أن يحقق إشباعاً من المرأة، ولو أدى هذا الإشباع إلى هلاكه، وهذا أكبر دليل على أنه فاقدٌ للبصر، شاعرٌ بلوعته، أو ربما بسبب شغفه بها، فهو لا يستطيع المقاومة حين يراها. لذا جاء في أبياته ما يؤكد هذا الكلام، يقول:

(من الكامل)

فجنيتُ تفاح الخدو ... دِ بمقلتي لا باليدِ
وهصرت رمان النهو ... دِ على القضيب الأملدِ*
قبَّلتها ولثمت وجـ ... ـنتَها ولم أتردد
فظفرت من حُسنيهما ... بمُمَسَّكٍ ومورّدِ
بتنا كما حكم الهوى ... وعفافنا لم يفقد
متعانقين فما تميـ ... ـزُ لنا حقيقةُ مُفردِ[1]

جاءت هذه الأبيات وفيها معاني القوة الجنسية نتيجة ما يحمله الشاعر المكفوف، فهو يسعى إلى إشباع غرائزه وبأي شكل من الأشكال.

إنَّ هذه الأوصاف التي ذكرها ابن جابر بصورة حسية تنم على أنَّ هذه المرأة ذات حسن وجمال، فخدودها كالتفاح ونهودها كالرمان وهو لم يتردد في أن يلثمها ويروي عطشه منها، ومن شدة هذا الحب، يصل ابن جابر إلى وصف الليلة التي باتا فيها معاً، وهما متعانقان كتعانق ابن هذيل مع حبيبته في الأبيات المذكورة آنفاً فالناظر لا يميز بينهما لشدة التصاق جسميهما بعضهما ببعض.

(*) الأملد: الشباب ونعمته. (لسان العرب، مادة: ملد).
(1) ديوان المقصد الصالح: 186.

وبعد ذلك يأتي ابن جابر ليذكر لنا كيف كان يصنع عندما خلا بها، لقوله: **(من الطويل)**

دنـــا كـــلُّ محبـــوبٍ وغـــابَ رقيبُـــهُ فنشربُ من ريق ونقطفُ من وَردِ[1] وَردِ[1]

ولم يرتوِ منها، ولم يشبع، وهذا هو حال المكفوف، لذا قال: **(من الطويل)**

خلاصـي من هذا الرشا كيف يرتجى وقيـد غرامـي لا يلـين ولا يرخـو[2]

إن الشاعر المكفوف الأندلسي كان يطمح إلى الخلاص من واقعه المؤلم باللذة والمتعة ولو كان كلاماً، واستظهاراً، فيتوجع مما (يراه) أو يتوهم أنه يراه من المفاتن والمغريات مستبدلاً الرؤية (العيانية) برؤية (شهوانية) مادية تعزز الرجولة داخل الذات وتثبت أركانها في أذهان الشاكين وأهل الظنون من (النساء) والرجال، مما أدى به هذا الطموح إلى الاضطراب الواضح في شخصيته، فاستخدم الألفاظ التي تحمل المعاني الحسية، وإظهار ما يدور في ذهنه ومخيلته لشقه الآخر (المرأة).

لذا تتعرض شخصيته إلى صراعات موصولة، وإحباطات عدة، أدت به إلى سوء توافقه الشخصي والاجتماعي، وبدت عليه مظاهر الاضطراب والشذوذ والانحراف[3].

(1) ديوان المقصد الصالح : 34.
(2) ديوان المقصد الصالح : 42.
(3) ينظر: الشخصية في سوائها وانحرافها، تأليف:الدكتور مصطفى فهمي،دار مصر للطباعة،(د. للطباعة،(د. ت): 73.